أدوية ماركسية وقومية غير فعالة في القضايا المصيرية

شاكر النابلسي
امريكا

أسـئلة كثيـرة، تطرحها الثقافـة العربية على نفسـها مـن خـلال إشـكالية الغزو الثقافي التي شـغلت بال المثقفين خلال القرن العشـرين، وما زالت تشغلهم حتى الآن، ومن هذه الأسئلة:

- هـل انتفـى القمع والاسـتبداد وإهدار الحقـوق الأساسـية للإنسـان العربـي، وتحققـت الديمقراطيـة، وتـم إيقـاف الغـزو الثقافي في ظل عشـرات التجارب الوحدوية التي تمت في العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشـرين. ومن هذه التجارب الوحدة المصرية – السورية في عام ١٩٥٨، وشـبه الوحدة السورية – العراقيـة في عام ١٩٦٣ ، ووحدة شـمال اليمن مع جنوبه في عام ١٩٩٠؟

- وهل الإقليمية التي أصبحت الآن واقعاً سياسياً، علينا أن نتعامل معه، هي السبب الرئيسـي في عدم تحقيق الديمقراطيـة وفـي إهدار الحقوق الأساسـية للإنسـان العربي؟

الماركسيون والقوميون في سلة واحدة

ينتقـد التيـار الماركسـي العربـي الشعـارات التـي تنطلـق بين حـين وآخـر لمواجهـة الغـزو الثقافي، والتـي تتشـدق بشعـارات قوميـة وتقدميـة طنانة رنانـة تتناقض مـع الممارسات الواقعيـة. ويطالب هـؤلاء بأن تتـم مواجهة الغـزو الثقـافي من خلال «ثقافة تنطـق بلغة الممارسة الوطنيـة الديمقراطية الصادقـة الحيـة، وبثقافـة تنطـق بلغـة الـتراث العربي الإسلامـي الأصيل العظيم» كما يقول المفكر الماركسـي المصـري محمـود أمين العـالم (مواجهة الغـزو الثقـافي في الوطـن العربـي مساهمـة في التمهيـد لوضع مشروع اسـتراتيجـي ثقافي، مجلة «الآداب»، عدد ٣/٤، ١٩٨٢).

ولنلاحـظ أن محمـود العالم هنا، قـد وقع هو نفسه في هـذا الخطـاب القومـي العاطفـي الرنـان الذي يتناقض مـع الممارسات الواقعية. فيما لو علمنا أن الخطاب الماركسي لا يجمع بين التراث والمعاصرة، ويبتعـد عـن جـدل الديمقراطيـة حيـث لم تَسُدْ في الاتحـاد السوفيتـي – وما كـان يـدور في فلكه من أقطـار العالم – غير ديكتاتوريـة الحزب الشيوعي، وديكتاتورية البروليتاريا.

العلاج الماركسي للغزو الثقافي

ويقترح جانب من التيار الماركسي في الفكر العربي المعاصر عدة طرق لمعالجة الغزو الثقافي منها:

١- لا غـزو ثقافيـاً يتحقـق، مـا لم يجـد الأرضيـة الصالحـة والقاعـدة الثقافيـة المكنـة لاستقبالـه والترحيـب به. وهذا ما هو قائم في العالم العربي. وفي هـذا يقـول المفكـر الماركسـي السـوري جلال صـادق العظم : «لا ينجـح الغزو الثقافي في التأثير الفاعـل والعميـق علـى المجتمع إلا بمقـدار الخواء الثقـافي الذي يقع عليه الغـزو. فحيثما توجد ثقافة حيـة ناميـة متحركة تتعامـل مع مشـكلات عصرها الكبرى وتحدياته المصيرية بنجاح معقول وتتفاعل مـع قضاياها الوطنية والفكريـة والعلمية والتقنية والفنيـة بصـورة خلاقـة ينكمش تأثـير الغـزو الثقافي، ويميل فعلـه إلى التلاشي تلقائياً والعكس بالعكـس» (ذهنية التحريم، ص ١٥٩). وهو ما عبَّر عنه كيريل هاسكنز مدير معهد كارنيجي بواشنطن بقولـه: « مـن المهم أن نتذكـر أن المعـارف يمكن أن تغرس في التربـة المحليـة مثـل الأنـواع الجديدة للقمح». ولا مجال لمقاومة هذا الغزو ما لم يتم تغيير البُنية الثقافية العربية.

٢- فضـح الحقيقة الإمبرياليـة والأمريكية خاصة، وفضح محاولات تغييبها والكشف الدائم عن وجهها القبيح. وهـذه قضية بالغة الأهمية، بل حاسمة في التصـدي للثقافـة الإمبرياليـة والصهيونيـة علـى السواء، وما يصدر عنها من آثار وأخطار.

٣- النضال ضد التعصب الديني والقومي والطائفي والفكر الرجعي عامة. وهذا أصبح ضرورة حاسمة للتصدي للثقافة الإمبريالية والصهيونية.

٤- سلـوك النهج الديمقراطي الـذي يحترم التنوع والاختلاف في إطار الوحدة القومية.

٥- على الثقافة أن تكون سلاحاً ثورياً في يد النضال السياسي، تحقيقاً لأهدافه في إسقاط النظم العربية الرجعية، وإقامة النظم الديمقراطية.

٦- عـدم اقتصار المعركـة الثقافية على النخبة فقط، وإنمـا يجـب دخـول الجماهـير العريضـة في هذه المعركة.

٧- إن المعركـة الثقافيـة العربيـة يجـب أن تكـون جزءاً مـن المعركة الثقافيـة العالميـة التـي تخوضها الإنسانية جمعاء.

٨- وضع استراتيجية ثقافية على الأسس التالية:

أ. تشكيـل جبهـة عربية للدفاع عـن الثقافة القومية العربية.

ب. وضع ميثـاق ثقافي وطنـي ديمقراطي لمواجهة الغزو الثقافي.

ج. إقامـة مشروعات إنتاجيـة مشتركة في مختلف المجالات الثقافية.

د. تنظيم مؤتمرات متخصصة لوضع خطط نوعية للتصدي للغزو.

نقد خطاب الماركسيين

ولنـا أن نلاحـظ مـن خـلال هـذه المشاريـع والاسـتراتيجيات، التي ظلت حبراً على ورق مثلها مثـل أية قرارات تصدر عـن أي مؤتمر عربي قومي أو محلي.. نقول من خلال ذلك نلاحظ التالي:

١- أن الماركسيـين كانوا يركـزون دائماً على الغزو الثقافي الغربي والصهيوني، ولكنهم كانوا يهملون أو ينكـرون الغـزو الثقافي الماركسـي والشيوعي، والـذي كان أبعـد أثـراً مـن الغـزو الإمبريـالي والصهيوني الذي يتحدثون عنه. فالغزو الإمبريالي الذي يتحدثون عنه، قام في النصف الأول من القرن العشريـن بمـا يشبه عصـر التنويـر الأوروبي في العـالم العربـي. والغـزو الثقـافي الماركسـي، قـام بتأسيـس الأحـزاب الشيوعيـة العربيـة في العالم العربـي، بدءاً من عـام ١٩٢٠. وكلا الغزوتين كانتا مفيدتـين حقـاً للثقافـة العربيـة. فالثقافـة الغربية الرأسمالية والثقافية الغربية الماركسية ساهمتا في تبني الطرائق العلمية، والأسس العقلية للتفكير في الفكر العربي المعاصر. وهذا لا شك فيه.

ولكن سؤالنا هنا:

– لمـاذا يثبـت الماركسيـون أثـر الثقافـة الغربيـة الرأسماليـة، ويعتبرونهـا غـزواً إمبريالياً، ولا يثبتـون الثقافة الماركسية التـي جاءت بها الأحزاب الشيوعيـة العربية، ولا يعتبرونها غـزواً إمبريالياً شرقياً أيضاً؟

٢- إن الماركسيـين كغيرهـم مـن باقـي المفكريـن والمثقفـين العـرب، لم يلتفتـوا إلى الجانب المهم في الثقافـة العربيـة المعاصـرة، وهـو جانـب التربية والتعليـم. وضرورة إحداث ثـورة في نظم التعليم العربيـة والارتقاء بها إلى مستوى التعليم الغربي، وهـو ما كان قد بدأه طـه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» في ١٩٣٨، ولم يكمله من جاء بعده مـن المثقفـين والمفكرين. وظلـت مناهجنـا الثقافية تحاكـي مناهـج القـرون الوسطى، وتُخـرّج أجيالاً عبارة عن طيور خشبية، لا تقوى على الطيران.

٣- إن الماركسيين قد ربطوا بين الصهيونية والغزو الثقافي وبين الإمبريالية والغزو الثقافي. في حين أن الغـزو الثقافي قد بدأ في القرن التاسع عشر مع مجـيء حملة نابليون في نهايـة القرن الثامن عشر، وقبـل وجـود إسرائيـل. وفي النصـف الثـاني من القرن العشرين تقلّص الاستعمار الغربي في العالم العربـي، وبرغـم ذلك كنا نتذمر مـن الغزو الثقافي، برغـم رحيل الاستعمار في الثلـث الأخير من القرن العشريـن نهائيـاً مـن العـالم العربـي (آخـر رحيل للاستعمـار، كان عـام ١٩٧١ مـن الإمـارت العربية المتحدة).

٤- إن ربـط الماركسيـين لمعركـة مقاومـة الغـزو الثقـافي للعالم العربـي بالمعركة العالميـة المُفترض وجودها، هي دعوة أيديولوجية شيوعية أكثر منها دعوة عربية. فقـد كان الشيوعيـون دائماً يحولون المعـارك القوميـة أو المعـارك الإقليميـة إلى معارك أمميـة أو معـارك عالميـة. ويفترضـون أن العـالم كلـه يقاوم الغـرب في ناحيـة مـن النواحي أو تجاه قضية من القضايا. وهذا ما يخدم قضيتهم بالدرجة الأولى، أكـثر مما يخدم الشعـوب أصحاب القضية الرئيسية.

٥- لقـد صـدرت هـذه التوصيـات ووضعـت هـذه الاسـتراتيجيـة في عـام ١٩٨٢، ومضى عليها قرابة عشريـن عامـاً لم يتـم تنفيذ حرف واحـد منها، مما دلّ وثبـت، بأنهـا لم تكن واقعيـة، وإنما كانت حبراً علـى ورق كمعظم القرارات العربيـة. بل لقد تعالت الصيحـات أكثر فأكـثر من الغزو الثقـافي بعد عام ١٩٩١ ، ودخـول العـالم العربـي بأكملـه في عصر القنوات التلفزيونية الفضائية، وفي عصر الإنترنت والبريد الإليكـتروني، وتدفق المعلومات بلا حدود ولا سدود، حيث أصبحت الثقافة الإنسانية كلها في متناول أي فرد من أفراد العالم، وفي طَرفة عين.

٦- وأخـيراً، علينا أن نلاحظ أن وهمَ الغزو الثقافي في العـالم العربي قد كبر أكثر فأكـثر، وأثير كما لم يُثر مـن قبل، بعـد اتفاقيـة كامب ديفيـد، ومعاهدة السـلام التـي عقدتهـا مصـر مـع إسرائيـل في عام ١٩٧٩. وكان الهجـوم الأوسع علـى الغزو الثقافي موجهـاً لإسرائيـل بالدرجـة الأولى. ولكننا كقرّاء، لم نتبـين مـن المثقفـين والمفكريـن الذيـن هاجمـوا الثقافـة الغربية والثقافة اليهودية ما هو مقبول من هـذه الثقافة، وما هـو مرفوض. فلا توجد ثقافة في التاريخ مرفوضة بالكامل، أو مقبولة بالكامل.

خطوات حالمة ورومانسية

يربـط بعـض المثقفـين العرب بـين مقاومـة الغزو الثقـافي وبـين تحقيـق مجتمـع العـدل والحريـة والديمقراطيـة. وأن العبيـد والجهلـة لا ثقافـة لهـم، سواء كانـت غازيـة أو أصيلة. ويقـول المفكر الماركسـي السـوري الياس مرقـص، أن «لا مقاومة لغـزو ثقـافي أجنبـي ولا حفـظ أو بنـاء لهويـة ثقافية قوميـة إذا كانت عشـرات الملايين من العرب يعيشـون ليومهم لا يعرفون غدهـم، ولا يسيطرون علـى شيء من مصيرهم. وحـين يزحف البشر على بطونهـم فهم ليسـوا بحاجة إلى أيـة ثقافة لا غازية ولا أصيلـة». ويقـترح آخـرون، تبنّـي الخطـوات الحالمـة والرومانسية التالية، لمعالجة مشكلة الغزو الثقافي:

١- تغيير النظام العربي القائم من أساسه.

٢- حـل القضيـة الفلسطينيـة، وإعـادة الحق إلى أصحابه.

٣- وضع مشروع عربـي مستقبلي أساسه العمل، والاجتماع الإنساني.

٤- وقوف الفكر العربي كليةً من الإنسان وتاريخه ومصائره.

٥- إيجـاد مشروع عربي ثقافي بديل لفكرة اللحاق بالغرب.

٦- البعـث الصحيـح والموضوعـي لـتراث الفكـر العربي. وذلك من خلال الخطوات التالية:

أ. فصل الثقافة عن السياسة.

ب. تشكيل هيئة قومية تتولى دراسة التراث.

ج. تشكيل هيئة قومية للترجمة .

د. حمايـة الهوية الثقافيـة لملايين العرب المهاجرين خارج العالم العربي.

كلام كثير لكن على الورق فقط

واقترح فريق آخر من الباحثين العرب المعاصرين، طرقـاً أخرى لمقاومة الغزو الثقـافي للعالم العربي، وهـي لا تعـدو كذلـك أن تكـون خطـوات حالمـة ورومانسيـة، ولا تتعدى حدود الورقـة التي كُتبت عليها، ومنها:

١. القضاء على النعرات الإقليمية والانعزالية.

٢. العمل على تحرر الأقطار العربية جميعها.

٣. تحقيق الوحدة العربية.

٤. إطـلاق قـوى الإبـداع وتحريرهـا مـن القمـع السياسي والاجتماعي.

٥. تعبئة الجماهـير فكرياً وتسليحها بأنصع ما في التراث.

٦. استنفار عناصر القوة في الثقافة العربية.

٧. مقاومة التيـار الانعزالي السلفي المُقاوِم لتفتح الثقافة العربية.

٨. تحرر الثقافة العربية من ردود الفعل الناتجة من افتراض صراع الحضـارات، فالساحـة الإنسانية تتسع لكل الثقافات.

×××

وتتواصـل المخططـات والمشاريـع العربيـة – وما أكثرهـا قـولاً وأقلها فعلاً – لمقاومـة الغزو الثقافي. ومن هـذه المشاريع إنشاء مركز أبحـاث للدراسات الإعلاميـة العربيـة. وهـدف هـذا المركـز إجـراء الدراسات حـول تأثير وسائل الإعـلام على الأفراد والجماعـات والثقافات، وذلـك مـن خـلال إجـراء بحـوث ميدانيـة عن تأثـير البرامـج الأجنبية على المواطـن العربـي، وعـن تأثـير الإعـلان، والأخبار العالمية، والثقافات الأجنبية على المواطن العربي.

صدمة الأقليات

ساطع راجي
السويد

حتى اللحظة التي جلس فيها رئيس مجلس النواب بين ستيفان ديمستورا ممثل الامين العام للإمم المتحدة والنائب يونادم كنا في المؤتمر الصحفي الذي أعقب التصويت بالمصادقة على قانون إنتخابات مجالس المحافظات لم يكن هناك موضوع متداول في الاعلام أو في تصريحات الساسة يشير الى إلغاء المادة ٥٠ من قانون الإنتخابات والتي تخص حقوق تمثيل الاقليات فأحدثت إعلانات الاسف والانزعاج المتبادلة بين المشهداني وكنا صدمة ليس للأقليات فحسب بل للشارع العراقي وللمراقبين على حد سواء وسبب هذه الصدمة الطريقة التي تم بها تجاهل هذا الموضوع الى ما بعد التصويت على القانون وكأن زعماء هذه الاقليات وقادة الاحزاب السياسية التي تتحدث بإسمهم وممثليهم في مجلس النواب كانوا في عالم آخر خلال الاسابيع الطويلة والمملة من الشد والجذب في قانون الانتخابات وكأن أولئك الزعماء والساسة كانوا متفرغين للفرجة على الجدل الدائر حول قضية كركوك التي عطلت إقرار القانون.

كان من المفترض أن تخرج التظاهرات المعارضة لإلغاء المادة ٥٠ قبل التصويت على القانون وكل الكلام الذي سفح على صفحات الجرائد وشاشات التلفزة جاء متأخرا بطريقة إستفزازية لجميع العراقيين وحتى عندما أراد أعضاء مجلس النواب الاعراب عن تضامنهم مع الاقليات والخروج من تهمة إقصائهم وتهميشهم فإنهم لم يفعلوا أكثر من تضخيم حجم الصدمة حيث تصرف عدد كبير من النواب وكأنهم لم يطلعوا على نص القانون الذي صوتوا عليه بأغلبية كبيرة أو بالإجماع كما قالت بعض وسائل الاعلام.

قضية مهمة كتمثيل الاقليات مرت من دون إهتمام زعماء الاقليات وقادتها السياسيين ومن دون إهتمام مؤسسات الدولة العراقية وتصرف النواب وكأنهم لا يعلمون شيئا وهذا الوضع تكرر في أكثر من قضية وحالة ما يدعو الى التساؤل عن مدى جدية النواب في تعاطيهم مع القوانين أم إنهم يركزون فقط على ما يريدون ثم يقلبون الصورة بعد ذلك في محاولة للتبرؤ من الخطأ فتأتي الصدمة للجميع.

لقد أفلح الساسة في إنتاج أزمة جديدة وعرضوا أنفسهم لإنتقادات داخلية وخارجية وخلقوا ملفا جديدا يشغلون به أنفسهم وممثل الامين العام ويدفع الناس الى حالة من اليأس تجاه تحسن الأداء السياسي في وقت تحتاج فيه العملية السياسية الى مشاركة هؤلاء الناس في الاستحقاقات الانتخابية القريبة.

لقد كشفت صدمة الاقليات ضعف مبدأ الشفافية في المؤسسة السياسية حيث لم تعرف جماهير الاقليات ولا بقية العراقيين ما حدث إلا بعد فوات الأوان ليتضح للجميع إن الشفافية ليست قضية مثالية قابلة للإجتهاد بل هي حاجة ضرورية لمواجهة الخلل قبل وقوعه وهي حق جماهيري تزداد قيمته كلما كان ممثلو هذه الجماهير متهاونين وغير جادين.

لم يؤشر أحد بشكل مسبق هذا الخلل في قانون الانتخابات بينما تقافز الجميع أمام وسائل الاعلام معلنين حرصهم على تمثيل الاقليات بعد المصادقة على القانون وكأنما وجدوها فرصة لإستعراض ودهم ومحبتهم لأبناء الاقليات وكأن وجود هذه الاقليات في الوطن وحقها في التمثيل السياسي هي منة أو منحة من زعيم ما أو تنظيم معين وليس حقا وطنيا خالصا يتم إستحصاله عبر وسائل دستورية ديمقراطية وليس كما يحصل البعض على مكاسبهم عبر زرع العبوات الناسفة وممارسة القتل والتهجير، والغريب في العراق إن الحصول على الحقوق المشروعة يحتاج للإستعانة بقوى لا تؤمن بأي شرعية غير شرعية القتل والدمار ويبدو إن هذا النمط الاخير من الشرعية يملك في عراق اليوم صوتا عاليا ويدا نافذة تجيد العزف على أوتار

عفك ... المدينة الطيبة المظلومة

زهير كاظم عبود
السويد

العديد من الناس من لايعرف عطاء هذه المدينة الطيبة للعراق ، والعديد منهم من لايعرف عنها سوى المثل الشعبي الذي يشير للأسكافي الذي رحل عن المدينة بسبب فقر اهلها وكساد عمله ، وتأكيدا على إهمال المدينة في الزمن البائد ، فقد قررتها تلك الحكومات في العديد من الأزمان منافى للسياسيين والمبعدين ، وبالرغم من عطاء عفك الا أنها لم تجد ذلك الاهتمام الذي يليق بها وبأهلها الطيبين الكرماء ، ولم تترك تلك السلطات أثرا معماريا أو معملا أو معهدا دراسيا أو أثرا لها في مدينة عفك ، وعرفت بمقاومتها لسلطات الدكتاتورية والطغيان وتحملت الويل من جراء تلك المواقف .

تميزت المدينة بطيـب أجوائها الفرات أوسطية حيث يقول الشاعر :

بيهـه المريض يطيب ياعفج جنة قرنفل العاقول والسبخة حنة.

تقـع عفك جنـوب شرق مدينـة الديوانيـة التي تبعـد عنهـا ٣٠ كيلومـتراً، تميـز اهلهـا بالكرم والتمسك بالقيم والأصالة والنخوة والشهامة ، كما تميزت المدينة بعدد شهداء الحركة الوطنية مـن شبابها ، ودخلت التاريخ الحديث من خلال مشاركتها الفعالة في ثورة العشرين ، وتسكنها عشائر فراتية مشهود لها بالشجاعة والمواقف الوطنيـة ، عانـت مدينة عفك الظلـم التاريخي ، فقـد نسيتها الاقلام وتجاوزها التاريخ الحديث ، وهي تحتضن أعرق المدن التأريخية في الدنيا .

و العديد من الناس من لايعرف مدينة (نيبور) ،التي يسميها عامـة (مدينة نفر) Nippur، العاصمـة الدينية للسومريـين والبابليين التي قامت مدينة عفك قرب أنقاضها وآثارها ، ونيبور الواقعة على مسافة ١٧ كيلومتراً من عفك كانت تقـع على الكتف الأيمن من شـط الفرات قبل أن يتحـول عنهـا النهـر الى عفـك الحاليـة ، حيث تفـرق سكانها الى القرى المجاورة طلبا للزراعة والعمـل ، ومدينة نيبور التي سكنها الاله أنليل (أين ليل) سيـد الهواء والأجواء الذي أحدث الطوفـان وزوجته نينليل (نين ليل) ، إضافة الى أنها كانت مقـر الاله (آنو) الوارد ذكره في شريعـة حمورابـي الذي تسنم عرشـ بابل عام ١٧٩٢ قبـل الميـلاد ، وكانـت حدود بابـل تصل الى مدينـة نيبور ، من المدن المهمـة في التاريخ القـديم ، ويطلق علـي سلالة أيسـن التي قامت فيهـا (إيشـان بحريـات) التـي تأسسـت عـام ٢٠١٧-١٧٩٤ قبل الميـلاد وأسسها إيشبي أيرا الـذي احتل أور وضمهـا الى مملكته ، ثم سلالة لارسـا (السنكـرة) ومؤسسهـا نابلانوم ومن اهـم ملوكها ريم سـين الاول ١٨٢٢-١٧٦٣ قبل الميـلاد ، والـذي قضـى علـى سلالـة ايسن عام ١٧٩٤ قبـل الميـلاد وقضى عليـه حمورابي في سنة حكمه التاسعة وضم سلالته الى بابل .

وكان يتـم تنصيـب الملـوك وتقـديم القرابـين في هـذه المدينة التـي تعاقبت عليهـا السلالات الحاكمـة في الزمـن البابلـي القـديم (سلالـة أيسـن ولارسـا وأشنونـا الأولى والثانيـة) ، إذ تتـم جميـع الطقوس التـي ترافـق عمليات التنصيب في معابدها الشهيرة ، وعلى يد رجال الدين فيها .

إضافـة الى وجـود مدينة (أيسن) ، وهي من المـدن العراقيـة الموغلـة في القـدم، و تقع على مسافـة (٢٤) كـم إلى الجنوب مـن مدينة عفك ومسافـة (٢٨) كم إلى الجنـوب الغربي لمدينة نيبور .

خضعت نيبور فترة طويلة الى الحكم السومري ، كمـا خضعـت في فـترات لاحقـة ومتباعـدة لحكم الأكديـين والبابليـين والآشوريين ، وفي فـترة أخـرى احتلهـا الفرس ايضـا لأهميتهـا الستراتيجيـة والدينيـة ، وكانـت نيبور مدينة عظيمة وكبيرة تحتوي على معابد بقيت آثارها وبناياتهـا شاخصـة حتـى اليـوم ، وكما تضم المدينـة مقابـر وبقايا قصور وبيـوت وشوارع معبـدة بالحجر ومرصوفة بالقـار ، وتدل دلالة أكيدة على التطـور الحضاري والعمراني الذي وصلتـه في تلـك الفـترة ، وبنتيجـة التنقيبات الآثاريـة التي جـرت أول مرة في عـام ١٨٨٩ م تم العثـور علـى أول مكتبـة في التأريخ إضافة الى أول صيدليـة وملعـب لكـرة القـدم ، وتم العثـور على أحجار تضم كتابات ونقوش مهمة تشير الى التخطيط العمراني الدقيق والوضع الأقتصادي والتنظيـم الأجتماعي لتلك المدينة ، ما يبدو مظهرا من مظاهر الرقي والتطور الذي كان في ذلك الزمان .

ولعـل الزقورة المسمـاة (آي- كـور) ومعناها البيت العـالي التي تحتل تلا مرتفعا من المدينة إشارة يمكـن للزائر مشاهدتها بالعين المجردة من مكان بعيد ، تشكل معلما بارزا من معالم تلك المدينـة الكبـيرة ، وتبرز للعيـان وهي شامخة بـين بناياهـا القديمـة ، إضافـة الى معبد ايكو الواضح المعـالم على شكل برج متدرج الصعود ،

وتذكـر كتب التاريـخ القـديم أن الملك اورنمو حاكم مدينة اور ومؤسـس السلالة الثالثة فيها هو الذي شيد هذه الزقورة نحو عام ٢٠٥٠ق.م ثـم رممها وجددهـا من جـاء بعده حتـى العهد الفرثـي قبـل الميـلاد ، ويقـع المعبـد الرئيـس بمـوازاة الضلع الشمـالي للبرج. وتحت اسس ابـراج مدخـل معبـد (ان انـا) تم العثـور علـى تماثيـل الملك شولكـي السبعـة في صناديق من الاجـر ، كما عـثر علـى صندوقين تحـت ابراج مداخـل ساحـة المعبـد يتضمنـان تمثالـين من البرونـز ارتفاعهما ٣٣سم يمثلان الملك اورنمو ، إضافـة الى عدد متناثر من المعابد الدينية في أركان المدينـة ، كذلـك وجد في مدينـة نفر اقدم تقـويم زراعي حيث يوجد فيه اقـدم المعلومات عن طـرق الزراعة والارواء التـي كان يمارسها سـكان العـراق القدامى وصلـت الينا موضحة في تقويم سومري عـثر عليه في خرائب مدينة نيبـور، وتذكر بعـض الكتابـات والبحوث ان الاوصاف التي ينطـوي عليها هذا التقويم تدل على ان طرق الري والزراعة التي كانت تمارس في تلـك الازمـان لاتختلـف في شـيء عن طرق الـري والزراعـة التـي يطبقها الفـلاح العراقي في الوقـت الحاضر ويشتمل هـذا التقويم على نصائـح وارشـادات حول طريقـة إدارة شؤون الزراعـة وطريقة اعداد الارضـ وانجاز عملية الحـرث وتنظيـم الـري في الحقـول للحصول على اجـود منتج واوفر محصـول . وقد دونت هـذه الوثيقـة على رقيم مـن الطـين يتكون من ١٠٨ اسطـر بالخط المسماري باللغة السومرية .

ولم تـزل المخيلـة الشعبيـة تنتـج القصـص والأساطـير والخرافـات حـول مدينـة نيبور ، حالهـا حـال مدينـة بابل ومـدن آثاريـة أخرى ،لكن واقع الحال يخالـف تلك القصص البعيدة عـن منطق التاريخ والتطور ، الا انها في جميع الاحـوال مدينـة غبنهـا المؤرخـون وتناساهـا رجـال الآثـار وقللـت الحكومـات مـن قيمتهـا التاريخيـة تعسفـا ، مع انها تعد مـن أعظم مدن العـالم القديمة ، ومن بين اكبر المدن الدينية في التاريخ العراقي القديم .

ولعـل الحكومـة العراقيـة الحاليـة ومنظمـة اليونسكو العالمية والمؤسسات المهتمة بالتاريخ القـديم تلتفت الى هذه المدينة الموغلة في القدم من خـلال حملة تستعيد بهـا مدينة نيبور حقها وأستحقاقهـا ، مثلما يتم الأهتمـام بمدينة عفك تلك المدينة الفراتية الكريمة والمعطاء .

وتنافـس نيبور مدنـاً كبيرة مثل بابـل وآشور غـير أن آثارهـا لم تـزل مطمـورة ، مـع انهـا اكتسبت منذ الالـف الثالث قبل الميلاد شهرتها . غـير أن المدينـة بقيت مهملـة لم تشملها الرعاية والأهتمـام الآثـاري ، ولم تتوجـه لهـا الأنظار لتحويلهـا الى معلـم سياحـي والاستفـادة مـن تأريخهـا ومكانتهـا ، مثلمـا بقيـت مدينـة عفك تعاني الأهمال والتهميش .

وتعاني مدينة نيبور تعرض آثارها الى السرقة ، ولم تـزل المدينـة وتأريخهـا يشـكلان حرقـة في قلـوب الحريصـين علـى تأريخ بـلاد مابين النهريـن والعراق القديم والـثروة الوطنية في الآثار المطمـورة او المكتشفـة ، ويتناخى أهلها لحمايتهـا وحراسـة معالمهـا التأريخيـة لثقتهم العالية بـأن الزمن والضمائر الحيـة كفيلة بأن تعيد للمدينـة المذكورة ما تستحقة من الاهتمام لتصل بمصاف المدن الاثارية الكبرى في العالم .

تميـز أهل عفك بحسهم الوطنـي والأجتماعي ، وتمكنـت المدينـة أن تعطي العـراق نماذج حية وثمينـة من الكفاءات والطاقـات ، توزعت فوق جسـد العـراق وهاجر قسـم منهم طلبـا للأمان وتخلصـا من حكـم الدكتاتوريـة ، وبقيت عفك قضاءا تابعـا لمحافظة الديوانيـة تتبعها ناحية ألبدير ونفر وسومـر ، وتتميز بمناطق زراعية شاسعـة لزراعة الحنطـة والشعير يسقيها شط الدغارة المتفرع من شط الحلة .

وتذكـر بعض الكتابـات أن أسـم مدينـة عفـك جـاء نسبـة الى شخـص يدعى محمـد العفاك ، استوطنهـا بعد أن هرب مـن أهله في الناصرية قبـل نحـو ٣٠٠ سنة علـى أثر ارتكابـه جريمة قتل عـن طريـق الخطأ ، ويعـزز تلـك الكتابات مـا أورده الحاج صـلال الموح أحـد كبار رجال ثورة العشرين وعضو مجلس الأعيان العراقي في العهـد الملكي خـلال مذكراته ، ويعد من أبرز المؤرخين وهو من أهـالي ناحية سومر التابعة لقضاء عفك ولد عـام ١٨٦٩ ميلادية في ناحية سومر (قلعة شخير سابقا).

وفي كل الأحوال فأن واقع المدينة لايتناسب مع واقـع أهلها وهي بحاجة للاهتمـام والتخطيط ، وأن نعيـد لهـا جـزءاً من حقوقهـا في أن تهتم الدولة بها من جميع النواحي .

اراء وافكار

Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١ ـ لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.

٢ ـ يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.

٣ ـ ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com